

مقدمة الناشر

كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ولا تزال - أهم حدث في التاريخ الحديث والمعاصر لمصر والأمة العربية ، وكان لها - ولا يزال - أثر هائل في مستقبل المنطقة بحكم الأخطار التي حملتها والمتغيرات التي أحدثتها والأجيال والقوى الاجتماعية والسياسية التي لا تزال ترى فيها تجربة وفكراً أو خلاصاً من الواقع المأساوى الذى تعيشه المنطقة الآن . وليس هناك شك فى أن هذا الواقع الذى نعيشه الآن يستدعى فكر الثورة مجدداً ومتجدداً ، وأهم ما فيها تلك الإدارة الوطنية المستقلة والصلبة التى امتلكها ثورة يوليو وثوارها والتى حققت بها الإنجازات الضخمة .

ونظرة على الواقع المصرى والعربى والدولى قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعدها تؤكد حجم التحولات الهائلة والتغيرات العميقة التى أحدثتها الثورة ، إذ أنهت الملكية ، وقضت على الإقطاع والقوى المستقلة والمسيطرة على مقدرات الإنسان والوطن ، وطردت الأجنبى وحققت الاستقلال ، وامتد تأثيرها عربياً لتتغير الخريطة السياسية للوطن العربى وتحصل أقطاره على الاستقلال، وتنتشر دعوة القومية العربية وتصبح الوحدة العربية تعبيراً عن رغبة الشعب العربى فى عودة الوضع الطبيعى لأمة مزقتها أعداؤها ضد رغبتها ..

ليس هذا فحسب بل إن الاستعمار القديم قد انسحب تحت ضغط قوى الثورة العربية وانتهى عهد الاحتلال الأجنبى البغيض، وغابت الإمبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس .. كل هذا وذاك كان بفعل الإرادة الثورية وإرادة التغيير التى أمتلكتها الأمة العربية بقيام ثورة يوليو .

وبقدر ما كانت الثورة تنتقل من إنجاز إلى إنجاز، ومن معركة إلى أخرى ، وبقدر ما كانت حركة الثورة مستمرة ، فإن من يعمل ويتحرك لابد وأن يتعرض لأخطار وانكسارات ، وكان من الطبيعي أن تجتمع القوى المعادية لثورة يوليو وقائدها التاريخي جمال عبد الناصر وتتصيد الأخطاء ، وتدير المؤامرات إلى أن كانت هزيمة ١٩٦٧ التي أحدثت جرحاً عميقاً ودامياً وانكساراً في مسيرة الثورة العربية وحركة التحرر الوطني.

وظهرت قوى عدة تحاول أن تثار من الثورة ، وأن تلغي وجودها الفاعل على الأرض العربية ، ليس هذا وحسب بل حملت ثورة يوليو المسؤولية عن كل المصائب والكوارث التي حلت بمصر وبوطننا العربي قبل التاريخ وبعده ، ولم تر في ثورة يوليو إلا الأخطاء والانحرافات والهزائم ..

ومركز الحضارة العربية ، إذا يختلف اختلافاً واضحاً وبيناً مع مجمل الآراء والأفكار والأخطار التي ضمنها الصديق الكاتب كتابه هذا - وهي أفكار نرى سهولة دحضها ومواجهتها في حوار موضوعي ومع ذلك فقد صدر هذا الكتاب عن دار مركز الحضارة العربية وهي مؤسسة ثقافية مستقلة ذات رؤية عربية وقومية .

الناشر

هذا الكتاب

تلك الحقبة من تاريخ مصر المعاصر ، التي تمتد من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ ، كان لها ، وسيظل لها ، أثر هائل فى أحوالها ومصير شعبها ، إلى قرون طويلة ستأتى . وقد تناولتها كتابات كثيرة ، البعض يمجّدونها إلى حدّ التقديس ، والبعض يقيمونها بمقاييس يسمونها سلبيات وإيجابيات ، ويعدون مآثرها وكبواتها ، والبعض (ومن هؤلاء عدد من كبار مفكرى مصر وأدبائها ومؤرخيها) لا يرون فيها إلا كارثة ماحقة . مؤلف هذا الكتاب يرى ذلك أيضاً ، فقط — وبكل تأكيد — ليس لأن أصحاب هذه الأسماء الكبيرة يفعلون ، خصوصاً وأن منهم من يبغضون الثورة — كما تسمى (ومؤلفنا لا يراها ثورة بأى مقياس ولا بأى درجة) — من منطلق انتمائهم لأيديولوجية أو أخرى ، وهو — المؤلف — إن كان يبغض شيئاً فهو فكرة اعتناق الأيديولوجية ، مما يشير إليه فى هذا الكتاب . كما أنه يرى أن غالبية من يرون فيها كارثة قد عالجوا الأمر من مجرد زاوية أو أخرى ، كأن يركزوا على الإجراءات التعسفية كالاعتقال والتأميم والمصادرة والتعذيب والتتكيل أو على إهدار القيم ، وحكم الفرد ، مؤلفنا لا يرى فى هذا كله — على بشاعته التى لا تطاق — سوى نواتج جانبية للكارثة الأصلية وهى ، الوقوع فى شرك خديعة نصبتها قوى خارجية رأت فى نظام الحكم فى تلك الحقبة فرصة تفوق كل الخيال وتجاوز كل الحدود ، فرصة لاستلاب مصر وانتهاب مواردها واستعباد أبنائها وبناتها وانتهاك حرّماتها واستباحة كل ما فيها وكل ما يأتى منها وينتج عنها . ولم يكن خارج مصر فرد واحد لا يعرف أن الصراع العسكرى مع إسرائيل لن يفيد منه إلا إسرائيل ،

وليس القصد من ذلك مجرد الكشف عما وقع وعمن هو مسؤول، فهذه أمور منتهى منها ، بل القصد هو أن يدرك أبناء بلدنا الذين دفعوا هذا الثمن الفادح من دمهم ومالهم وأبنائهم وبناتهم وكراماتهم ونفوسهم ، أن يدركوا أن الداء لا يشفى إلا إذا عرفت الجرثومة التى أحدثته وإلى أى حد تفشت فى دماننا وأوصالنا ومدى ما أحدثته من تلف فى جسومنا وعقولنا ونفوسنا . وبكل تأكيد ، نحن الآن فى أول الطريق إلى ذلك، حكامنا سياسيون إداريون يؤمنون بالعمل الجاد من أجل المستقبل ، العسكريون قادة محترفون (١٩٧٣)، السفراء دبلوماسيون يدركون حقائق العالم المحيط بنا (طابا)، مصر الآن عضو عامل وصالح فى المجتمع الدولى ، هذه الصورة المبشرة بالخير لا تكتمل إلا بإدراك الحقائق ، والحاضر والمستقبل ليسا سوى نتائج حلقات الماضى ، الماضى ليس أمورا طواها الزمن، إنه يكمن فى أعماق كل منا ، ويتمثل فى كل قطرة ماء حولنا وكل نفحة هواء تحتوينا وتستشقه صدورنا ... والذى يعطى لهذا الإدراك مزيداً من الأهمية ، هو — فيما يتصور مؤلف هذا الكتاب، إن ما لحق بمصر من الأذى، وما أصابها من التلف، أكبر وأعمق بكثير، من قدرتنا على إدراكه أو تصوره، ولعل هذا يرجع إلى سطوة وسائل الإعلام فى عصر التليفزيون ، وإلى استغلال الكفاءات الفنية التى كانت باقية من عصور سابقة لم تكن — على مساوئها — على هذا القدر من النزعة إلى إخماد الأنفاس وكبت الضمائر . وهكذا فإن فداحة الكارثة قد طغت على قدرتنا — وأيضاً على رغبتنا فى تصورها.